قصة
آنَ الأوانُ أنْ نتزوّجَ
الكاتب
جمال بن عبد الله الحيان

الترقيم الدولي :

ISBN : 321-6754-34-733-7

تحقيق ومراجعة :

الشرطي الخل والصديق

تقديم :

و ها هو الهدف المراد و الرّامي إلى إغناء الحقل الأدبي العربي عموما و الأدبي العربي بالمملكة المغربية الشريفة يجرّ إلى أحداث قصة حب من نوع خاصٍ ؛ كون بطليها من نوع خاص ، و خالصٍ ؛ كون ثمنها لم يقدّر بل أكد ثنائية : الحب / الإنسانية ...

و لعله لتأكيد هذا كان لزاما تضمين أدب القصة المستقل بأدب آخر غابر ، و تمتد أصوله منذ بدايات تعلّم الكتابة و القراءة ؛ إنّه أدب الرسالة في واحد من أنواعه الأربعة و هو الرسالة الأدبية و الإنشائية ...

و ممّا يبرهن كذلك أن للغة العربية و أدبها السيادة ، كلمةً و نسقًا ، كما سبقت بذلك و كانت قدوةً ما عداها من الألسن و اللهجات ...

و قراءة ممتعة للجميع ...

الشرطي الخل والصديق

حبّ المجانين

حين تغدو الشمس في كبد السماء ، تستهل ساندرا كتابة خواطرها منطلقة بين سطور العشق والغرام ، تتعذب بقيودها بين جدران لا ترحم، وتهمة الجنون قيدٌ من حديد صلب لا يكسر، وهي تتمرّغ في زنزانتها مستسلمة لكل شيء ، وأيامها تمضي ، وشوقها في الطريق لكسر القيود.

_عزيزي فابيو

آن الأوان أن نتزوج – بينما تبكي ولا زالت دموعها لم تجف ، وقد أعقبه سعال طويل متحشرج – آن الأوان أن نتزوج ، فقد بدأت أشعر بالسّوء والحزن ، وفي الحقيقة كان من المفروض أن نتزوج منذ مدة طويلة ، لقد شحب وجهي جدا ، وهزل جسمي وأنا أفكّر فيك .

– نزعت فستانها بسرعة وحلت ضفيرتها ، وقالت ثمة شيء ما ...

ساحت في رأسها الأفكار وانتابتها رغبة جارفة ، وقد رسمت على وجهها المسكنة الشديدة ، فبكت ومضت تكتب: –

إنّها الواحدة زوالا ، وقد أسكرتني رائحة الوحدة ، لم أستطع أن أجد تفسيرا لحبك الفاتر هذا ، فأنت عديم المبالاة، وحتى هذا السكون لم يعد قادرا أن يجيب على تساؤلاتي كما كان من قبل .

فلتجبني أنت إذن ...!!!

لقد تغيرت ملامح وجهي يا عزيزي ، وأخشى– أن تنفر مني إن رأيتني من جديد ، لا أدري ما الذي غيّرك عني ، وأنا التي وقفت زهاء ساعتين تنتظر خروجك من البيت وهي تسير على غير هدى ، كي ترى وجهك الجميل ، وتسقى من نور وجنتيك ، وتستمتع بعينيك الذكيتين اللامعتين .

يعجبني رأسك محلوق الشعر ، رغم ما علاك من شحوب ...

أنت لا تنام يا عزيزي ...!!؟

أنا قلقة عليك ...!؟

لقـــد دبـــت البهجـــة في صـــدري وأنا أراك تمشيـــ ، رجعـــت إلى سريـــري مستمتعة بنـوم عـذب هـادئ عميـق خـلا مـن الأحـلام ، وقـد دفنـتَ وجهـك في المعطف ، وكلّك بسمات تكتمها في كمك ، ضحك خافت .

ولكـني أراك دائمـا أمـامي ، تحـت سـمائنا هاتـه الملبـدة بالغيـوم، حـتى كـدْتُ أناديـك ذات يـوم ، ولكـني تراجعـت في حـيرة ومضـض ، ومـرت دقيقـة صمت رجعت فيها إلى مرقدي يائسة وقد اختفى خيالك ...!!

رجعـت كي أكتـب مـا دار بيننـا ، ومـا لي لا أكتـب ، لم يتبـق لي شيء في هذا العالم سوى أن أكتب ، فنهر كلماتي لم يكن ليجف أبدا .

أوليس هذا ما جعل ذلك الحلم يراودني من جديد ...!!!

وهـا هي سـكرة نشـوة الحـب أشـعر بهـا الآن ، لقـد وصـل بي العشـق إلى أقصىـ درجـات الإنفعـال والحماسـة ، سـامحني عـلى هيئـتي المشـعتة هـذه ، لقـد كنـت أستمتع للموسـيقى منـذ قليـل وقـد ثملـت مـن الـرقص وصـليل المهـاميز ، أحسسـت كأني أحلـق بأجنحـة ، وأحسسـت أيضـا أني غارقـة في حـب بـلا أمـل ، والممرضـة إيزابيـل وصـديقاتها لاهثـات مبهـورات مـن حماستي المفرطة ، تتحدث معهن في همس وهي تبتسم .

أحقا انا رائعة إلى هذه الدرجة يا فابيو ...!!!

أم أنها أحاسيس بالغيرة والكراهية ...!!!

قطبت وجهي من الغيظ مباشرة ، وقد اكتسى ـ طابعا صارما بشحوبه ، متبعا برجفات عصبية ، وقفت مرتكزة بقرب النافذة ، أخذت بعض مساحيق التجميل ، لقد اشتراها لي أخي هوفمن ، إنه لأمر رائع أليس كذلك...!!!

هوفمن ، ذاك المخلوق الثمل ، الضيق الصارم ، ذو الرأس الحليقة والشفتين السمينتين ، واللحية الطويلة والعينين البنيتين ، كلما دخل لزيارتي هرول الحراس كالمجانين لمرافقته والتملق به ، إنهم السادة النبلاء يا فابيو ، الأغبياء مدعوا الأرستقراطية ، الميالون للمجتمع الراقي .

أما أنت أيها العليل الخجول ، فيكفيني حبك النقي الشاعري، جرءتك ، وسرعة بديهتك ، ورائحتك الرطبة العذبة المنعشة .

تقدم إلي خطوة واحدة ...!!!

ما لك مسلوب الإرادة ...!!!

سنعيش حياة نقية سامية ، وسندفع عنا هذا الحزن الثقيل القاتم ، وسنعيش في بيت دافئ أنيق ، مليئ بالحب كلوحاتك الرائعة ، فلندع كآبتنا جانبا حبيبي فابيو .

اشتقت إليك ... حبيبتك ساندرا

اصـــطبغت الأجـــواء باللـــون الأحمـــر في حـــين أن الشـــمس كانـــت تســـتلقي عـــلى سريـــر الغـــروب في الأفـــق البعيـــد ، وقـــد تجـــلى ذلك في مخيلتهـــا بوضـــوح مـــذهل ولاحـــت بالرســـالة ، ونامـــت عـــلى هيئـــة طفـــل صـــغير قـــد انقشـــع عنـــه الغطـــاء في لـــيلة باردة ، وكلهـــا حنـــان وهي تعـــانق الوســـادة وتبتســـم بـــين الفينـــة و الأخـــرى ، وأروقـــة الجنـــاح تســـمع ضحكاتهـــا وحفيـــف فســـتانها، وخيـــال فـــابيو يظهـــر لهـــا في كل مكان مضيئ عنوانا لعشق أبدي ضائع بين سطور الوهم .

**عزيزتي ساندرا

لقـــد أعيتـــني الذكـــريات القـــذرة والســـهاد ، وإني عـــلى فراقك أعيش الحزن كل يوم.

كان الظـــلام لا يـــزال مطبقـــا حـــين اســـتيقظت ، أرى عينيـــك الخـــائفتين وأنا أُكـــبحُ ارتجـــاف بـــدني ، وصـــورتك البهيـــة في عقـــلي حيّـــة مجســـدة ، وإني ليـــائس مـــدمر وأنا أراك في تـــلك الهاويـــة الســـحيقة المظلمـــة للغايـــة ، تتجـــرعين

مــرارة الأقــدار ، كنــت أتطلــع كل يــوم لزيارتــك ولكــني أقابــل بالــرفض ، وأنت تعرفين ذلك .

ففــي لحظــة غضــب وأنا في مكتــب المــدير ، قمــت بــدق الطــاولة بقبضــتي حــتى اهــتز كل شيء ، تبعــثرت الأقــلام ، وســقطت النرجــيلة وقــد تحطمــت أجزاؤهــا محدثــة جلجــلة مدويــة ، وارتجــف كل مــن بالغرفــة ، وانهــال عــليّ الحــراس بالضربــ ، مكبلــين يــدي بســماط مــن البلاســتيك الســميك ، وألبســوني وزرة مقلوبــة شُــدت بإحــكام مــن الخلــف ، وقــد شــلوا بذلك حركة الجزء العلوي من جسدي، وهذا كله من أجلك ، سامحيني.

لم أستطع تمالك نفسي ، ولكني أريدك وأحبك .

نهرته بغضب وأنا أقول :

_ ألا تعرف من أنا ...!!

رفــع عينيــه نحــو الســماء كاظــما حنقــه مــرتبكا و متكــدرا للغايــة وهــو يدمــدم في غضب :

_مجنون ...من ...!!!

تنهدت قائلا :

_أنا الرسام فابيو فاسيلي لابونوف ...!!

قال وهو يفرقع أصابع يديه واحدا تلو الآخر غير مكترث تماما :

ـ أعـرف مـن أنـت سـيدي فـابيو ، ولكـن سـاندرا ممنوعـة مـن الـزيارة ، والأمر ليس بيدي ... للأسف .

—— شعرت بانقباض في صدري وأنا أفكر في مصيرك ——

قلت وأنا أنظر بعين واحدة كالأبله :

– ما رأيك في رشوة ...!!!

بـدأ يضـحك ضحـكا مجلجـلا وبـدأ الـكل يضـحك ، حـتى بـدأت دمـوع الضـحك تنسـكب مـن مقلتيـه وقـد احمـرّ وجهـه خجـلا مـن هسـتيريا الضـحك التي أصابته أمام الحرس والموظفين .

– ما المضحك ...!!!

أجاب : لا شيء ...لا شيء ...

وبدأ يضحك من جديد غير مكترث تماما هذه المرة .

اقتربـت نحـوه – والحـراس يراقبـون بحـذر – أخـبره أن رشـوته سـتكون أفضل لوحاتي ، وقد ظهرت على شكل فكرة جميلة مفاجئة .

فجأة سكت وأصبح يتودد ككلب طيب :

سكب لي القليل من الويسكي ، وقد تغيرت بوصلة آرائه ، وهو يميل إلى المرح وقد أوكل إلى إيزابيل إحضار بعض الطعام اللذيذ وهو يبتسم ويقول :

– فُكّ قيده يا كاتّوزو ...فكّ قيده ... ويسكي ...!!!

أجبت ولا زالت قسمات الغضب في وجهي :

– كأس واحدة فقط ...!!

تقدم إلي خطوة وكأني أشعر برقتها ورونقها ، مع احترام وإشادة كبيرين ، رغم أني لا زلت متمسكا بطلبي شاعرا باليأس والإحباط بعد سنة من التداوي ولا زالت موجات الغضب تداهمني .

قال وهو يهمس في أذني :

–أنت تعرف هوفمن ، لقد دفع مبالغ طائلة كي لا يرى أحدا أخته ساندرا ، إذ لا سبيل لوجودها في مجتمع أرستقراطي مثالي كما يدعي ، ولعل طمرها هكذا في مستشفى راق للمجانين لمن أفضل الحلول .

ألـيس كذلك ، لقد أصبح للمجانين أيضا مستشفيات راقية ، فأنت مثلا يا فابيو رسام مشهور ومكانتك في الخارج يضرب لها ألف حساب، ولكن هي الظروف كما يقول عرابي دائما (الظروف كلبٌ بين الوفاء والغدر) وأرى أن ظروفك كانت وفية للغدر .

فلنشرب هذا النخب ...!!؟

تشن ... تشن

تحركت المقاعد وتبسمت الوجوه ثم قال بعد ذلك :

– سأجري حوارا مع هوفمن ...!!

وهو يحاول أن يضفي على حديثه أسلوبا فخما ، لمّح إلى أنّ الأمر بيد هوفمن أكثر مما هو بيده كمدير .

أنهى حديثه في الهاتف بصوت مضطرب وقد تهللت أسارير إيزابيل وبدأ الدكتور يتودد من جديد ، وقد بدّد الحر الخانق في مكتبه وهو يشعل مكيف الهواء قائلا :

–أوه ، شكرا ، هوفمن معجب بأعمالك وهو في الطريق الآن ، سيمر كل شيء على ما يرام .

لقد كنت مستعدا كل الإستعداد كي أُعطي أفضل لوحاتي التي رُسمت مقابل أن أراك ، ولتكن تلك النهاية...لا يهم .

بالكاد أستطيع التنفس ، بل إني بدأت أشعر بالوسوسة والخوف ، وتارة بالحزن_ الشديد ، أسمع أصواتا غريبة دون أي سبب واضح ، ولكني أخاف إن التقيت بك يا ساندرا أن تصادفي إحدى نوباتي

العدوانيـــة وصراخي الشـــديد ، لأني مصـــاب بالمونومانيـــا يا حبيبـــتي ، فلتعلمي ذلك.

عشيقك فابيو

لم يطـق الدكتـور صـبرا فقفـز ناهضـا ، وفي روحـه نشـاط لا يوصـف ، وقـد غنم كنزا ثمينا ، رغم ما كان عليه من توتر .

دخـلا عـلى فـابيو وهـو منهمـك في الـرسم ، انتصـب واقفـا وقـد شحـب لونـه ، وسـكبت الصـباغة عـلى ثيابـه وحذائـه مـن الدهـش الذي أصـابه ، وقـد لـوث الأرضـية مـن جديـد ، تطلـع أمامـه في رعـب وهـو يـرى تـلك الـوزرات البيضاء المقلوبة ، وفي حجرته عشرات اللوحات باهضة الثمن .

بدأ هوفمن يهمس في أذن المدير :

— لدى هذا المجنون ثروة كبيرة جدا ، ما العمل ...!!!

— تـلك لوحاتـه يا سـيدي هـوفمن وهـو مصرّ عـلى أن تبقـى هكـذا وحيـدة ، بـل ويحـدثهن في بعـض الأحيـان كأنهـن رفيقاتـه في السكن، آه ، مجنون.

— أنت مضحك يا دكتور ، ولكني على يقين انه سيغير رأيه .

– لا أظن ذلك ، فلنساومه إذن ...!!

– ماذا تقصد ...!!

– إن كان سيضحي بأجمل لوحاته من أجل رؤية ساندرا، فلماذا لا نساومه على ساندرا بكل هاته اللوحات .

– كم أنت خبيث أيها الدكتور المدمن السكير ، وكيف تجرؤ على ذلك ...؟؟

– لست خبيثا لهذه الدرجة سيدي هوفمن ، ولعلي قرأت رسائل أختك عشرات المرات ، ولن أكذبك قولا إن قلت لك أنها تحبه إلى حد الجنون .

– وما شأني في ذلك ...!!

– فلنزوجهما إذا ...!!

– أتستهزئ بي أيها المختل ، لقد أثرت فيك بيئة المجانين ، ولا أستبعد إصابتك بالجنون مستقبلا .

– فكّر مليا يا هوفمن ، ولا تكن أعمى لتلك الدرجة ، واستمع لما يمليه عليك قلبك ، وفي الأخير أنت الرابح .

– أحتاج مهلة للتفكير .

– الأمر لا يحتاج تفكيرا ، انتهى الموضوع .

– وكيف سيكون زواج المجانين هذا ...!!

– إسأل نفسك يا من سجن أخته من أجل أرستقراطية ظالمة مجحفة ...

إسأل نفسك يا من باع أخته في سبيل نخوة بين بطون ملآى بالويسكي والغرور ...

وفي كل الأحوال فقد تخلصت من أختك المجنونة أيها المعتوه ، ألا تخجل من نفسك يا هوفمن ...!!!

دع المحبين الحمقى يموتون سويّا ، وشاهد حمى العشق كيف تقتل أصحابها ، وعش نبيلا ، لا شريرا .

– ولكني أريد اللوحات ، ما السبيل لذلك ، سأجني ثروة ، ولتذهب ساندرا إلى الجحيم .

– فليكن ... دعني أراقب فحسب ، ولندع إيزابيل تقنعه بذلك ، فهو يثق بها بشكل كبير .

نظر فابيو للجميع نظرة خوف وحزن وفي روحه يأس لا يوصف ، تكلمت إيزابيل شارحة له كل شيء ، وقد جلس وهو يجهش بالبكاء إثر نوبة تأتيه في بعض الأحيان ، فلم يسبق له إطلاقا أن بكى أمام

النـاس عـلى هـذا النحـو ، فقـد امـتزج ذلك مـع فرحـة اللقـاء المرتقـب وهـو يستحضر ـ دروس ماضـيه وأحـلام مسـتقبله ، وقـد سـيطر عليـه حبـور نابـع من أعماقه .

لم يـرفض فـابيو ، بـل استسـلم للحـب والأقـدار ، أراد وبشـكل عنيـف وهستيري أن يرى حبيبته والرحيل بعيدا .

وأخـيرا بعـد إتمـام الصـفقة ، دخـل فـابيو غرفـة سـاندرا شـديد التـأثر ، شـديد القلـق ، وقـد أصـابها الذهـول الشـديد وهي تطـرد فلـول النـوم ويبـدها رسـالته الأخـيرة ، تيبّسـت مـن الفـزع وهي تـراه يتجـه نحوهـا ، فبعينيهـا السـوداوتين وشـفتيها الحـائرتين بـين التبسـم والصـمت تجمـد كل شيء وتوقـف الـزمن لهنيهـة ، أفـترت في الأخـير عـن ابتسـامة ، وقـد ضمـرت وهزلـت وشـاخت ، وهي تـرى حلمهـا يـتجلى واقعـا ملموسـا ، وقـد أضـناها انتظـار رؤيتـه ثانيـة ، كان النهـار عـلى وشـك أن ينتهـي حـين وصـل ، كان الوقـت يمـر ، وكان يتمـنى ألا تنتهـي هـذه اللحظـة أبـدا ، بشـوقها وذوقهـا الرومانسي القاتل .

قال وهو يريد أن يدحض تخمينها الأول :

– لا زلت قمرا مشعا يا حبيبتي ، ولون وجهك أصبح أحسن بكثير من السابق ، حبي الغالي ، سنغادر إلى مكان لن يصله هوفمن ، أنت أجمل زمردة في العالم .

فليكن مكانا سحيقا نموت فيه معا ، تعالي إليّ ، أمامنا طريق طويل ، اسمعي ، إنه صوت الحياة يناديا في الخارج، والنجوم الصغيرة تنتظرنا بفارغ الصبر ، لا تخافي، فلا توجد ذئاب في المنطقة يا عزيزتي .

نظرت إليه وهي تعاتبه :

لوثت الأرضية من جديد ، يا لك من مشاغب مشاكس ...

انتهى بفضل الله وكرمه في 11 ذي الحجة 1441 هـ / الموافق ل 1 غشت 2020 م